الصهيوني « الصغير » . فكيف ينظر الفكر الصهيوني « الحمام » الى المسألة ؟.

يعتبر أريه اليف أحد ممثلي هذا الميل داخل السلطة الاسرائيلية . ويقول في كتابه ان الفلسطينيين — على الرغم من الكوارث التي لحقت بهم — او بسبب هذه الكوارث قد تحولوا الى عنصر جاسم في المنطقة ، ويعتقد انهم العامل المركزي الذي ادى الى نشوب الحروب بين العرب واسرائيل . وبعد حرب ١٩٦٧ يرى اليف ان الشعب الفلسطيني هو العامل الجوهري . وهو لا يعترف بأن من حق اسرائيل ان تبحث المسألة على النحو التالي : هل هنالك شعب فلسطيني ام لا ؟ ويتساءل : « من نحن لكي نقرر ذلك ». « فانهم ، او تاريخ عشرات السنين الاخيرة، قد حددهم كشعب خاص بين الشعوب العربية » . ويقول انه بدون الفلسطينيين ليست ثمة امكانية لاية تسوية « حتى لو حدثت معجزة ، وتم التوصل الى اتفاق مؤقت أو دائم مع الدول العربية من الجنوب والشمال والشرق ، فلن تحل قضية العرب الفلسطينيين . لن نحصل على سلام حقيقي ولن ينتهي الصراع العربي — الاسرائيلي ما لم نجد ، معهم ، حلا للقضية التي هي قضيتنا » . ويرى أريه اليف ان الحل هو « تنازل كل من الشعبين عن تحقيق جزء من حقه واقامة دولتين — يهودية وفلسطينية عربية — على ارض فلسطين . ولا يحدد المؤلف حدود كل من هاتين الدولتين . ولكنه يشير ان حدود اسرائيل ستكون شبيهة بالحدود التي سبقت حرب الايام الستة . أما الدولة الفلسطينية فانها ستشمل قطاع غزة وضفتي الاردن .

ولا يهمنا هنا مناقشة الحل الذي يطرحه أريه اليف . ان ما يلفت النظر ، في هذا المجال ، هو أن نراقب نظرة الفكر الصهيوني الى الشعب الفلسطيني وحقوقه التاريخية ، وكيفية اصطدام هذه الحقوق مع الممارسة الصهيونية .

ويبدو ان يغال عيلم — مؤلف كتاب « مدخل الى تاريخ صهيوني اخر » ينتمي الى فكر الحمام الذي يحاول تبرئة الصهيونية — كايديولوجيا وتطبيق سابق ، من « أخطاء » التطبيق اللاحق التي ترتكبها « الصقور » . وعلى هذا الاساس ، فانه يجتهد كثيرا لخلق فواصل نظرية بين الاستيلاء على فلسطين عام ١٩٤٨ — كعملية « شرعية » لتطبيق « الحق » اليهودي « الشرعي » ، وبين الاستيلاء على مزيد من المناطق عام ١٩٦٧ . انه يعترض على الاعتراف بأن الممارسة الصهيونية كانت تنطوي دائما على حتمية طرد العرب ونهب اراضيهم . انه يرفض ذلك لكي لا يقوده منطق الامور الى الموافقة على عمليات الطرد والنهب في الحاضر ، ولكي لا « تشوه » سمعة الصهيونية التي كانت جرائمها في الماضي « عدالة ». انه يبرىء الصهيونية من هذه الطبيعة ، لان التأكيد على هذه الطبيعة « سيلغي الصهيونية بين صفوف الجيل الجديد ، فاذا كانت الصهيونية دائما حركة نهب ، فما هو تفوقها على حركات النهب الاخرى في التاريخ ، عدا انها لنا ». وفي مقاله عن كتاب أريه اليف (دافار ٨/١٨) يدافع عن ممارسات الصهيونية في الماضي ، ضد ممارساتها في الحاضر ، ويضع آراء اليف في مواجهة آراء اصحاب الدعوة الى « ارض اسرائيل الكاملة » السائرين في المنطق الصهيوني حتى آخر مدى . ويقول عن كتاب اليف « انه ، قبل كل شيء ، تجدد للينبوع الصهيوني ومحاولة لان يعيد الينا ارض اسرائيل الصهيونية — في مواجهة « أرض اسرائيل الكاملة » — تلك الارض التي وعدنا أنفسنا بها عندما خرجت الصهيونية الى الطريق ، واشترطنا بلوغها بشرطين كبيرين : ١ — ان يقوم على هذه البلاد مجتمع نموذجي يهودي ٢ — الا ينطوي عملنا على نهب العرب ». كيف يمكن ان يقوم مجتمع يهودي نموذجي على ارض يسكنها شعب آخر دون ان تنطوي العملية على نهب ؟. ان الكاتب يحل هذه المعادلة الصعبة باجابة مضللة : « أليس هنالك فارق نوعي اخلاقي حاسم بين الاستيلاء على الاراضي بواسطة المال في فترة الحكم التركي والانتداب البريطاني وبين مصادرة الاراضي بقوة الغزو في أيامنا ؟ » !!!

ويوافق الكاتب على رأي أريه اليف بأن « أرض اسرائيل الكاملة » ليست هي التي ستشكل قوة الجذب والتحدي للهجرة الكبيرة ، وانما تحقيق حلم المجتمع اليهودي النموذجي ، وعلينا قبل كل شيء ان نثبت لانفسنا وللعالم ان دولة اسرائيل تستطيع ان تستوعب ثمانية ملايين مواطن يستطيعون العيش بكرامة دونما حاجة الى التوسع الى أية جبهة . فاذا آمنا بذلك ، واثبتنا ذلك بالقول والعمل ، وبالتخطيط فعندها نستطيع اقناع الغرب والعالم باننا لا نتطلع الى التوسع » .

م. د.